المحاضرة 9: النظريات في الأنثروبولوجيا (4/ البنيوية)

مقدمة: ظهر الاتجاه البنيوي في الأربعينيات من القرن الماضي بتحليل النصوص الأدبية والفلسفية، ويعتبر كلود ليفي شتراوس أحد السبَاقين إلى الحديث عن البنية التي أخذها من اللسانيات وطبَقها على موضوع القرابة في المجتمعات البدائية وكان ذلك في سنة 1949، بعد ذلك امتد البحث عن البنى إلى التنظيم الاجتماعي والأساطير والموضة كما فعل رولان بارث سنة 1957

تعريف البنيوية:

البنيوية لغة تعني البناء والكيفية التي شيَد بها وهي تحمل معنى الكل أي ترابط الأجزاء فيما بينها مما يجعلها متماسكة، واصطلاحا هي نسق من العلاقات الباطنة المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء وهذا النسق له قوانينه الخاصَة فهو يتصف بالوحدة الداخلية والتنظيم الذاتي.

البنيوية نظرية فكرية في العلوم الإنسانية تستكشف العلاقات الداخلية للعناصر الأساسية لمختلف الحقول الثقافية وهذه العناصر ثابتة ومنسجمة ومتجانسة في ما بينها إذا حدث تغيير في أحدها كان الخلل في مجموع البنية.

نشأة النظرية البنيوية في الأنثروبولوجيا:

برزت البنيوية في مجال علم الإنسان في الخمسينيات من القرن الماضي على يد كلود ليفي شتراوس بعد إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية وكتابته لأطروحة دكتوراه بعنوان (البنى الأوليَة للقرابة) وتعرَفه على رومان جاكوبسون عالم اللغة المشهور الذي عرَفه على علم اللغة البنيوي ممَا جعله يتناول عدَة مواضيع وفق المنهج البنيوي.

قدمت البنيوية طريقة جديدة ومميزة في دراسة الثقافة فقد أدخل شتراوس مقاربات تحليلية مكتسبة من اللسانيات لمعرفة الظواهر الاجتماعية وهذا التحليل يستلزم وضع مخطط مرجعي يسمح بالتفريق بين الفئات المنَظمة للنشاط اللا شعوري ، هذا المستوى الجديد من التحليل البنيوي أظهر ترتيبا للاكتساب اللغوي وترتيبا للمجتمع في قواعده (قواعد الزواج مثلا).

لقد ركَزت البنيوية على كيفية تحديد السلوك البشري من خلال البنى الثقافية والاجتماعية والنفسية لأنَه لا يمكن فهم الأشياء بمعزل عن غيرها بل يجب رؤيتها في سياق البنية الكاملة للمجتمع، ويرى شتراوس بأنَ المجتمع يتكون من بنى اصغر حجما تشكَل مجتمعة المجتمع بكليتَه وعناصره، وأكَد المنهج البنيوي أنَ عناصر الثقافة يجب أن تفهم من حيث علاقتها بالنظام بأكمله، أي أنَ الكل أكبر من الأجزاء وعناصر الثقافة ليست تفسيرية في حد ذاتها لكنَها تشكَل جزءا من نظام له معنى.

مفهوم البنية في الأنثروبولوجيا:

يرى ليفي شتراوس أنَ الدماغ البشري مجهَز لتنظيم العالم تنظيما هيكليا فالبشر استعملوا أنظمة فهم مختلفة لتفسير العالم من حولهم مما أدى إلى تنوَع في المعتقدات والممارسات الاجتماعية والثقافية، وقد استعمل البنيوية لتحليل هذه الممارسات والمعتقدات لتحديد قطع البناء الأساسية للتفكير الإنساني وثقافته، وسعى مفهوم ليفي شتراوس إلى توحيد – على مستوى الفكر والتفسير- لتجربة المجموعات الثقافية التي تعيش في أنظمة مختلفة عن بعضها البعض، كما أكدَ أنَ جميع نشاطات البشر في المجتمع مبنية وليست طبيعية تلقائية.

البنية في الأنثروبولوجيا هي أي نظام كامل (يعمل ككَل) ومتحوَل غير ثابت ومنظَم ذاتيا، من خلال هذا التعريف نستخرج الخصائص التي تميز البنية وهي:

- الشمولية: يقصد بها تناسق البنية داخليا لأنَ الوحدات داخلها تتميز بالكمال الذاتي وهي ليست مجرد وحدات مستقلة بل أجزاء تكتسب خصائصها من كونها داخل هذه البنية، إذن البنية تتسَم بالكليَة وهي مكتفية ذاتيا ومترابطة العناصر في نظام كلَي ولا تحتاج إلى وسيط خارجي.

- التحوَل: البنية لا تعرف الثبات والاستقرار ولا يمكنها أن تظل في حالة سكون مطلق فهي في حركة دائمة وعناصرها أيضا في تحول دائم وهي تخضع لقوانين داخلية يفرضها النظام الذي تتواجد فيه.

- التنظيم الذاتي: عناصر البنية تنظم نفسها بنفسها مما يحفظ لها وحدتها وتماسكها فالبنية لا تعتمد على عامل خارجي لينظَمها أو يبَرر عملياتها وإجراءاتها التحويلية.

أمثلة عن تطبيقات البنيوية في الأنثروبولوجيا:

1- نظام القرابة: ركزت اعمال شتراوس على القرابة والتنظيم الاجتماعي فقد سعى لفهم تشكَل تصنيفات التنظيمات الاجتماعية كالقرابة والطبقية وغيرها وركَز على دور التبادل والمبادلة في العلاقات البشرية وفي التحالفات بين العائلات والقبائل المختلفة، وأنشأ

شتراوس نظرية حول الموضوع تقوم على أنَ مجموعات القرابة القبلية عادة ما توجد في أزواج أو مجموعات ثنائية تعارض بعضها البعض ولكنَها بحاجة لبعضها في نفس الوقت.

2- نظام الزواج: وضح شتراوس في نموذجه أنظمة الزواج بين ابناء العم، وتبادل الأخت، وقواعد الزواج الخارجي، وأشار إلى أنَه مع الوقت تشكَل قواعد الزواج بنى اجتماعية أي أنَ نظام الزواج يخلق علاقة مدين ودائن يجب موازنتها من خلال التزويج على الفور أو في الجيل التالي، كما ناقش فكرة تبادل النساء بين القبائل وتوصَل إلى أنَ محركها الأساسي هو تحريم سفاح القربى في هذه القبائل على عكس القبائل التي لا تحرَمه وبالتالي تسمح بالزواج من أبناء العمومة، ووفقا لذلك قام شتراوس بتجميع أنظمة القرابة والزواج في مخطط يحتوي على ثلاثة هياكل قرابة أساسية (أولية- شبه معقَدة- معقَدة).

3- الأساطير: اهتم كلود ليفي شتراوس بالمعتقدات والتقاليد الشفهية لدى الشعوب الأصلية في أمريكا، وقام بدراسة الأساطير لدى مجتمعات القطب الشمالي حيث قسَم الأساطير إلى وحدات صغيرة ذات معنى أطلق عليها اسم mythemes وتوصَل إلى أنَ الأساطير قد تدرس لكشف الأضداد العالمية (مثلا: الموت/ الحياة).

4- الهديَة: طرح (موس) موضوع الهدية كمثال عن التبادل وقال بأنَ الهدايا ليست مجَانية بل تلزم المتلقي بأن يردها بالمثل، وأشار إلى أنَ الهدايا ليست أشياء ماديَة فقط فهي تمتلك خصائص ثقافية وروحية.

رواد النظرية البنائية:

كلود ليفي شتراوس: عالم أنثروبولوجيا فرنسي وهو مؤسس البنيوية التي طبقها على الظواهر الثقافية مثل علاقات القرابة والأساطير.

مارسيل موس: عالم اجتماع فرنسي كان أستاذا لشتراوس وأثَر في تفكيره كثيرا خاصة في موضوع العلاقات البنيوية في الثقافة.

Structuralism: a method of analysis of aspects of human cognition, behaviour, culture, and experience, which focuses on relationships of contrast between elements in a conceptual system.

Structuralism in anthropology:

A structuralist studies activities as diverse as food preparation and serving rituals, religious rites, games, literary and nob-literary texts, and other forms of entrainment to discover the deep structures by which meaning is produced and reproduced within a culture. For example, an early and prominent practitioner of structuralism, anthropologist and ethnographer Claude Levi Strauss in the 1950s, analyzed cultural phenomena including mythology, kinship (the alliance theory and the incest taboo), and food preparation (see also structural anthropology).

Another concept was borrowed from the Prague school of linguistics; Roman Jacobson and others had analyzed sounds based on the presence or absence of certain features (such as voiceless VS voiced). Levi Strauss included this in his conceptualization of the universal structures of the mind, which he held to operate based on pairs of binary oppositions such as hot-cold, male-female, culture-nature, cooked-raw, or marriageable vs. tabooed women. A third influence came from Marcel Mauss, who had written on gift exchange systems. Based on Mauss, for instance, Levi Strauss argued that kinship systems are based on the exchange of women between groups (a position known as alliance theory) as opposed to the descent' based theory described by Edward Evans- Pritchard and Meyer Fortes.(research begins here New World Encyclopedia,www.newwoldencyclopedia.org).